

يوم 23 ماي 1932 (1) )

## بقلم الأستاذ الزاهري العضو الإداري لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين

كان يوم 23 ماي من السنة الماضية من أشد الأيام على هذا الوطن شؤما وسوادا، ففيه جمع المفسدون أمرهم وشركاءهم ثم تقدموا إلى جمعية العلماء المسلمين فأثاروا عليها غارة شعواء، من الشغب والفضوى وأرادوا بها كيدا فكانوا هم الأخسرين.

في نحو الساعة السادسة من صباح هذا اليوم مضى أصحابنا إلى دار إحدى الجمعيات في الجزائر (العاصمة)، فوجد ذلك جُموعا غفيرة من الناس قد تجمروا أمام الدار، وتجمعوا داخلها حتى ملأوا صحنها وغرفها وجحجرتها، فظن صاحبنا أنه أمام مكتب من المكاتب التي يفتحها المترشحون لأحد الانتخابات لشرء الأصوات!! ودخل الدار فوجد أن شيخ الحلول قد جلس في صدر المجلس على هيئة بارزة تستلفت إليه الأنظار، وكان مريضا مثقلا لا يستطيع أن يجلس طويلا فأحيط لذلك بكثير من المساند والموائد والمخدات، وكان إلى جانبه ثلاثة أشخاص يوزعون على الناس الأوراق والوصولات أم الوصولات فكانت زائفة مُصطنعة وهي من الفئة ذات العشرة فرنكات التي تعطىها جمعية العلماء أعضائها العاملين الذين لهم حق الانتخاب، وأم الأوراق فكانت تشتمل على قائمة بأسماء الذين رشحوا أنفسهم لكي يكونوا أعضاء المجلس الإداري لجمعية العلماء المسلمين وهم ليسوا بعلماء ولكن كانوا لأنفسهم يظلمون.

وتقدم صاحبنا من شيخ الحلول وعاتبه على هاتاه الأوراق والوصولات الزائفة التي يوزعها مجانا بلا أدنى مقابل على الذين لم تتوفر فيهم الشروط التي تأن لهم لكي يكونوا بجمعية العلماء أعضاء عاملين وقال له أن هذا هو عمل من يسعى لهدم هذه المؤسسة المباركة التي لم يخلق مثلها في البلاد، وما ينبغي لك — أنت في شيبتك وشيخوختك — أن تكون في يد (فلان) آلة من آلات الهدم والتخريب وبالإفساد، على أن هذه الجمعية هي جمعية علماء، وليست جمعية مُصنفة ولا جمعية أشياخ طُرق، فما يكون لك — أنت المصوف — أن تدخل فيها! فقال شيخ الحلول: إن بيني وبين الشيخ بن باديس عداوة شديدة ما أنساها له أيد الدهر، وأم العلماء الآخرون فليس بيني وبينهم شيء إلا أن هم أصحاب الشيخ بن باديس وإخوانه، فقال صاحبنا: وماذا بينكما؟ قال شيخ الحلول: كنت نشرت كتابا واستشهدت فيه ببعض الأحاديث النبوية التي قلت عنها أنها واردة في صحيح البخاري وصحيح مسلم والمحقيقة أنها لم ترد لنا في البخاري ولما في مسلم، وإن ما أنا الذي غلطت وأخطأت، فما كان من الشيخ باديس إلا أن نشر في المشهاب انتقادا شديدا فضحني فيه وحط من قيمتي بين أتباعي وأظهر أغلاطي وأخطائي أو قل أظهر للناس أكاذيبي، فقال له صاحبنا: لو لم تكن أنت نشرت كتابك محشوا بالأغلاط والأخطاء لكان حقا لك على الشيخ بن باديس أن يستر عليك جهلك وأن لا يفضحك أمام الناس أم وقد طبعت كتابك ونشرته بين الناس فمن واجب الشيخ بن باديس ومن واجب كل عالم يغار على السنة النبوية أن يضح أغلاطك وأخطاءك للناس حتى لا يضلوا بها، وعلى كل حال فهذه مسألة شخصية لا يحسن بك أن تتخذها حجة وذريعة لهدم هذا المشروع العمومي العظيم، فتحرك شيخ الحلول من مكانه وتحللح، ثم قال في لهجة المواقف بنفسه: «فات المحال! لا بد لنا أن نستولي على جمعية العلماء ولما بد أن نطرد عنها كل عالم من العلماء وكل طالب من طلبة علم، ولما بد أن تكون هذه الجمعية خالصة لنا من الناس ولما يمكن لنا بحال أن نرجع عن مُحاربة جمعية يرأسها الشيخ بن باديس فيئس صاحبنا من تفهيم هذا الحلولي المغرور، فتركه وانصرف لسبيله.

ولقيت أنا بعد ذلك رجلا من هؤلاء المشاهبين وكان بيني وبينه معرفة سابقة فأخذ بيدي وانتحينا ناحية وحدنا، وقال لي يا فلان ما هذه اللجنة التي قررتهم تأليفها لتفسياد أسماء النخبين ولما متحان العضو الذي تشكون في كونه «عالمنا» أو «طالبا»؟ وهذا ليس بحق، فقلت: ولماذا؟ فقال: إننا ما جئنا إلا من أجل الانتخاب فكيف تمنعوننا منه؟ فقلت له: كل عضو عامل له حق الانتخاب ولكن العضو العامل هو العالم أو طالب العلم لا غير، أم الذين ليسوا بعلماء ولما بطلبة علم فليسوا أعضاء عاملين ولما حق لهم في الانتخاب، وهذا هو نص القانون الأساسي للجمعية ولما تمكن مخالفته بأي وجه، فقال: إذن قد غرني فلان وغلان... وذكر جماعة من المشاهبين، قلت: وكيف ذلك؟ قال: إنهم قد أرسلوا في الشوارع حاشرين يجمعون لهم الناس من المقاهي والحانات،

ويوزعون عليهم الأوراق والوصلات مجّانا بل ويزيدونهم على ذلك فيدفعون إليهم ثمن التصويت !!

□ □ □ □ □ وأنا نفسي كلّ فوني بذلك وقد جمعت من المحانات خمسة وأربعين رجلا ووزعت عليهم مجّانا ووصلات الاشتراك من غير أن يدفعوا لي من قيمتها شيئا. بل قد أعطيت كل واحد منهم عشرة فرنكات لكي يشرب بها << المبيريتيف >> إلما لشيء سوى أن يَعْطي صوته في الانتخاب ضد الشيخ بن باديس وضد أصحابه العلماء ؟ قلت : وما هو ذنب الشيخ بن باديس ؟ وما هي ذموم أصحابه العلماء ؟ قال : لا ذنب لهم . ولكننا لم نقبض منكم ولا درهما واحدا وخُصومكم قد أعطونا دراهم كثيرة (!!!) فقلت له : سواء أخذتم الدراهم أم لم تأخذوا وأكلتم الرشوة أم لم تأكلوا فلا يكون ذاكبا إلما من كان عالما أو طالبا للعلم . قال : إن الخمسة والأربعين الذين أكلوا الدراهم على يدي ليس فيهم ولا واحد يعرف الألف أو المباء . ولكن أخبرني عن الدراهم التي دفعتها إليهم هل أستردها منهم وما هم براديتها إلي أم ما ذا أصنع ؟ فقلت له : أنت لم تستفتيني فيها أولا . فأرجوك أن لا تستفتيني الآن فيها . فقال : يجب أن أستردها من الذين كل فوني بإنفاقها . فقلت له : ذلك إليك .

□ □ □ □ □ ودقّت الساعة التاسعة من صباح ذلك اليوم وافتتح الأستاذ بن باديس رئيس جمعية العلماء الجلسة الأولى من جلسات الاجتماع العمومي لجمعية العلماء بخطاب كان آية من آيات البلاغة وجاء جامعا لكل معاني الموعظة والذكرى . فخشعت له القلوب وفاضت له الأعين من الدمع ولكن الذين طبع الله علة قلوبهم فلا تنفع فيها الذكرى . وجعل في آذانهم وقرا فهم لا يسمعون قد كرهوا هذا الخطاب وقالوا لا تسمعوا له والمغوا فيه لعلكم تغلبون . فهجوا وماجوا . وأكثروا من اللغط والمضوضاء . وكانوا مأجورين على أن يحدثوا في هذا اليوم الفتنة والمشغب والفوضى وانتصب << الجاهل الأمي >> كزعيم لهؤلاء المشاغبين وجعل << يروت من فمه >> ويسيء الأدب بحق هذا الاجتماع المحافل بالعلماء والأعيان . وكان الأستاذ باديس يخاطبهم قائلا : << يا سيدي فلان >> بكل هذا اللطف والمأدب . ولكن ه هو كان يقول للرئيس : << يا ابن باديس (أي بضم نون ابن) فكان العلماء يضحكون من جهل هذا المخلوق . ويعجبون من وقاحته وقلة حياثه . وكان كل واحد إذا أراد أن يتكلم رفع يده ويطلب من الرئيس أن يأذن له بالكلام إلما هذا المخلوق فإنه كان يتكلم بلا استاذن ونصب نفسه لرد على كل أحد وللجواب عن كل كلام . وكان يقول الكلمات الجارحة حتى اضطره الرئيس مرارا عديدة إلى أن يسحب كلامه وأن يبادر بالاعتذار . وذات مرة أراد أن يكون نظامي أم تأديبا لا يخرق سياج الأدب والنظام فرفع يده وقال للرئيس : << أطلب الكلام >> (بضم المهمزة وكسر اللام الممدودة) فلج الحاضرون في المضحك وقضوا من العجب .

□ □ □ □ □ وكان << القوم >> قد تواصوا بالشر . وتواصوا بالمكر . واتفقوا فيما بينهم على أن يشاغبوا ويغلطوا إذا تكلم الأستاذ بن باديس أو غيره من العلماء . وأن يتظاهروا بالقبول والرضى إذا تكلم واحد من خمسة من أصحابهم قد عيّنوهم للكلام في هذا الاجتماع . وقد لقيتهم بعض الناس أن يقولوا << صواب . صواب >> لكل من تكلم من هؤلاء الخمسة . ولكن واحدا من هؤلاء الخمسة قد تأثر من هذا الموقف وتبين له أن الحق كل الحق مع العلماء وأن << القوم >> لا يريدون الخير . وإن ما هم يحملون في صدورهم لجمعية العلماء أسوء المقاصد . وأخبت النوايا . فتأب وأصلح . وأذن له الرئيس في الكلام فقام وجعل يثني على الأستاذ باديس وعلى إخوانه العلماء ثناء عاطرا ويصفهم بالصدق والأمانة والأناة ونيل المقصد . ثم التفت إلى المشاغبين فأنحنى عليهم باللامّة المرة وبالتوبيخ العنيف ولكنهم كانوا لا يزالون يظنون أن الرجل ما زال معهم . فجعلوا يصيحون بالمواقفة على كلامه . ويقولون : << صواب ! صواب ! صواب ! >> والمتفت إلي أحدهم وقال لي : << رأيت كيف غلبكم صاحبنا فلان فوافقتم على كلامه . ولم تقدروا على جوابته ! فقلت له : كلا بل هو الذي رجع إلى الحق والصواب . ولم يدع كلمة تجول في أنفسنا إلما قالها لكم فسكت الرجل . وبهت الذي كفر .

□ □ □ □ □ وكان << القوم >> يريدون أن يستولوا على جمعية العلماء وإلما فإنهم عزموا على إحداث فتنة عمياء تسيل فيها الدماء . وحينئذ يملكون للحكومة أن تحل الجمعية وأن تغلق نادي الترقى . ولكنهم خابوا في كلتا الأمنيتين << ورد الله الذين كفروا بغيبهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال >>

